الفصل الخامس

كامل الشناوى الإنسان

أيها اللائمون قلبى
على الحب رويدا
فما عسى تبتغونا
أسلو عن الجمال
وقلبى عاش للحسن
عاشقا مفتونا

كامل الشناوى

obeikandl.com

obeikan.com

شظايا شاعر

ولما كان كامل الشناوى واسع الاتصالات، كثير الأصدقاء، يتسع قلبه للجميع، وقد عرف الكاتب الصحفى أنيس منصور الشاعر كامل الشناوى عن قرب وعرف الكثير من حياته وغرامياته وليالى عذابه فسماه «شاعر الشظايا» وقال عنه(*):

«لم أر البهاء زهير وحافظ إبراهيم وعبد العزيز البشرى وإمام العبد وعبد الحميد الديب، ولكنى رأيت وسمعت وأحببت كامل الشناوى، لم أعرفه شاعرا ولا محدثا ظريفا ولكن الصدفة جعلتنى أعرفه صحفيا... أهون ما فيه...»

فقد كان كامل الشناوى محدثا ممتعا.. تعرفه لحظة واحدة، فكأنك عرفته طول حياتك.. هو الذى يختصر المسافة ويدخل فى حياتك..فى عقلك وقلبك.. فإذا به جزء منك وأنت جزء منه.. هو ضرورى لك، وأنت ضرورى له، هو يعطيك هذا الاحساس .

ومع كامل الشناوى لا تملك إلا أن تحبه جدا أو تحبه بحساب.. أو تحبه على حذر... ولكن أنت تحبه... أما حبه لك فهو «جاهز» موجود دائما، سواء عرفته يوما أو ألف يوم.

«عرفت كامل الشناوى سنة ١٩٥٠، وعملت معه محررا فى «الجريدة المسائية» التى عاشت ٤٤ يوما، وبعدها انتقلنا معا إلى «الأهرام» وإلى مجلة «النداء» وعندما ترك الأهرام ذهبنا معه إلى «أخبار اليوم» ونسينا

(*) أنيس منصور، عاشوا فى حياتى، القاهرة.

أن نقدم استقالتنا أو شكرنا للأهرام، فعلنا ذلك فيما بعد فقد كان يكفى أن يتقدمنا كامل الشناوى لنكون معه أو وراءه... إنه كامل الشناوى، صديقك وأخوك الأكبر المتحدث بلسانك...

هو الذى يحدد لك المرتب، وهو الذى يطلب لنا الإجازة والعلاوة.. وأنا وغيرى وكثيرون يدينون له بكثير من الفضل ـ تشجيعه الأدبى فى كل وقت..

وأنا لم أر كامل الشناوى طالبا أزهريا.. لم أره بالعمامة.. بعض الزملاء عرفوه وزاملوه، ورأوا شخصية قلقة فى الجبة والقفطان، أما نحن فقد رأيناه أكثر قلقا فى الجلباب وكان بدينا يأكل كثيرا ويشرب كثيرا وينام طويلا ويصحو أطول.. كل شئ عنده بإسراف..

يشرب القهوة طوال النهار، ويبلع كميات من الحبوب المنومة ليقضى على مفعول القهوة.. فإذا صحا من نومه راح يصب القهوة ليزيل أثر المنومات. فهو ـ هكذا ـ يصحو بالقوة وينام بالقوة.. وهو مشدود دائما إلى اليقظة التى يحبها والنوم الذى يعشقه.

وكل لحظة عنده هى لحظة يقظة ولحظة نوم أيضا.. فقد نام بعمق وأنت تتحدث إليه، ويصحو تماما بعد لحظات، أنه يتقلب على حافة سيف يفصل بين عالم النور وعالم اليقظة وهو وحده القادر على أن يحقق هذه المعجزة اليومية..

وكان أنيقا فى ملابسه... فهو يرتدى أحدث القمصان والكرافتات، وفى جيبه أفخم الولاعات... وكل ما يملكه كامل الشناوى من الممكن أن يهديه لأى أحد فى أى وقت.. وهو حريص على العملات الورقية الجديدة... والأقلام الباركر الذهبية التى لم يكن أحد يعرفها، وكان يكتب على ورق صغير وكان خطه رديئا، وكان يستطيع أن يكتب وسط الضجيج وكان يتعب فى الكتابة، نثرا أو شعرا بل كان شاعرى التعبير دائما، أنيق

العبارة النثرية فخم التراكيب الشعرية.

وهو مثل كل الشعراء الذين ينظمون قليلا، لا نعرف له مقدمات، فلا نعرف أين بدأ ولا كيف؟ فهو من أسرة من علماء الأزهر.. وكان المقدر له أن يكون واحدا منهم.. ولكن روحه القلقة وموهبته الإبداعيه، وخفة دمه، وزحمة الناس حوله وحرصه على أن يكون حديث الناس، وأن يكون الناس حديثه، جعله يتجه إلى العمل الأدبى والصحفى.. ثم الصحفى والفنى والإذاعى والغنائى.

وأنا لا أصدق الكثير مما يقوله الشعراء.. لأنهم يتغنون بالعذاب والهوان، ويجدون لذة فى ذلك، ولو حاولت أن تمد يدك لواحد منهم فإنه لن يطاوك... وسوف يسخر منك... لأن الشاعر لا يريد علاجا لعذابه، بل عذابه هو العلاج.. وشقاؤه هو الشفاء، ولذلك فأنا أصدق كامل الشناوى ألف مرة عندما يقول:

أنا عمر بلا شباب!!

وحياة بلا ربيع!!

أشترى الحب بالعذاب

أشتريه فمن يبيع؟!

ويتردد هذا المعنى فى كل قصائدة القليلة القصيرة، وهو الخليط الذهبى فى تأملاته النثرية، وإذا عرفته عن قرب، أيقنت أنه لم يقل إلا الحق وكل الحق ولا شئ إلا الحق، وكان يرهقنا بالسهر الطويل، وكان يغضب إذا نحن تركناه وحده أى تركناه مع عشرين آخرين، فهو حريص علينا جميعا ينتقل بنا من مطعم إلى فندق إلى كباريه إلى بيت أحد الفنانين: من عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ أو فريد الأطرش أو غيرهم

من الفنانين والممثلين الكثيرين ولكنه يفضل أن يكون على راحته فى أى مكان آخر...

فيكون هو المتحدث الوحيد... أو يكون هو الساخر الأوحد... ويكون ضحاياه واحدا منا، أو نحن جميعا... وكان يعيش الليالى الطويلة بالمقالب التى هى حديث المدينة.

فى إحدى الليالى كان موعدنا أن نتناول العشاء فى بيت محمد عبدالوهاب، وتوقفت السيارات عند أحد المحلات ونزل كامل الشناوى واشترى لنا جميعا علب سجائر صغيرة، وبعد العشاء تحدث كامل الشناوى عن انعدام الشخصية عند الشباب وضرب مثلا لذلك: إننا ندخن نوعا واحدا من السجائر... مع أن هناك ألف صنف!، ويظل يضحك ونضحك.. وفى اليوم التالى... تتجدد المقالب..

* * *

وكامل الشناوى هو الذى أحيا ليالى هيلتون - كافتيريا هيلتون - فقد كانت هذه الكافتيريا هى الغرفة الوحيدة المضاءة ٢٤ ساعة واتجهت جميع أقلام مصر إلى هذه الغرفة تتحدث عن المجتمع وعن الفتيات الجامعيات اللاتى يعملن جرسونات.. ويتقاضين بقشيشا كبيرا... ثم اختفين فقد تزوجن... وكل الصحف تتحدث عن الجرسونة الجميلة التى تعثرت وسقطت منها الأكواب... أو تعثرت فوقعت هى على صدر أحد أصحاب الملايين الذى تزوجها بعد ذلك..

والناس فى الكافتيريا أشكال وألوان ولغات وأحجام ومن كل الدنيا وكامل الشناوى هو صياد الليالى وغطاس هذا المحيط.

أعجبته فتاة لها عينان جميلتان فكان يقول لها: عينك توجعنى! ولم

تفهم الفتاة هذا المعنى فكانت تقول له، مفسدة المعنى الجميل: إنها عينى أنا ولابد أن توجعنى أنا..

فيقول لها: ولكنها توجعنى أكثر!

فلا تفهم فيرد عليها: إن الله سبحانه وتعالى وضع كل عظمته فى عينيك ولم يترك فى رأسك عقلا يفهم هذه الحكمة!

ولكنها لم تفهم يقول كامل الشناوى مرة أخرى:

مــرت بنا كــالطيف تســألنا..
مــاذا نريد، فلذت بالصــمت
ودنت لتســألنى على حــدة
عــمــا أريد.. فــقلتــهــا: أنت!!

* * *

غــضــبت وألقت نظرة نزعت
قلبى وشــدته إلى فــمــهــا
ياليــتــه يقــوى يقــبلهــا
ياليــتــه ينســاب فى دمــهــا!!
وأردت أرضــيــهــا، فــقلت: لهــا:
هل تعــرفــين.. ومن أكــون أنا؟
أنا يا صــبــيــة شــاعــر هرم
قد جاء يستــوحى الشبــاب هنا..!!

* * *

أريد الهـــامـــة جـــديدة

بقـــدر مـــا أنظم القـــصـــيـــدة

* * *

فـــافـــتـــر ناظرها ومـــبـــســـمـــهـــا

وقـــصـــيـــدتى مـــا زلت أنظمـــهـــا

وأظل طول العـــمـــر أنظمـــهـــا !!

حتى الأستاذ العقاد الجاد الصارم كتب عن كافتيريا هيلتون التى غيرت وجه الحياة الليلية فى مصر، وكان كامل الشناوى يتندر قائلا: إن أول مكالمة تليفونية بين الرئيس السوفييتى والرئيس المصرى قد تمت بشأن هذه الفتاة الجميلة.. فقد وجد رواد الفضاء السوفييت صعوبة فى الهبوط إلى الأرض فطلب إلى الرئيس عبد الناصر أن يستأذن هذه الحسناء فتنظر إلى السماء وعلى ضوء عينيها هبط رواد الفضاء إلى الأرض سالمين.

وكان يقول عنها: من شدة أدبها إذا فتحت درج مكتبها، فأنها تدق عليه أولا!

وكان يشغلنا وينشغل كثيرا بكل وجه جديد وكامل الشناوى كان شاعرا طول الوقت، صحفيا بعض الوقت، سياسيا نادرا فهو رومانسى متمرد...

ونحن نعرف كل اللاتى أحببهن كامل الشناوى، ولكننا لم نناقش فى ذلك الوقت هل واحدة منهن فى وزن وجمال وروعة الذى قال؟ هل نجاة الصغيرة وفايزة أحمد ونور الهدى؟

أن أحدا لا يسأل الشاعر من هى التى أحبها، ولا ما اسمها ورسمها؟ أو هل مديحة يسرى فى جمال الشعر الذى قاله العقاد.. أو «مى زيادة»

فى روعة ما أبدع مصطفى صادق الرافعى نثرا وشعرا.

لكن التى أحبها العقاد وطه حسين ولطفى السيد وسلامه موسى وجبران خليل جبران ومصطفى عبد الرازق ومحمد عبد القادر حمزة ـ لا أظن مى زيادة هذه السمراء الفلسطينية السورية اللبنانية الأوروبية جميلة إلى هذا الحد الذى يسحر أكبر عقول زمانها، ولكنها وحدها تعذبت بهم ودخلت مستشفى العصفورية للأمراض العقلية فى لبنان.

ولا كانت ليلى العامرية ولا دوقة وندسور ولا إيفا بيرون عشيقة وزوجة رئيس الأرجنتين.. ولم ير واحد منا شيئا واحدا مما وصفه الشعراء:

ولا رأينا الأقمار التى يصنعونها.. ولا الجبال ولا الأنهار.. ولا الأسود ابتداء من الشاعر عنترة العبسى حتى الشاعر شوقى أمير الشعراء.

ولا يصح أن نطلب إلى الشعراء أن يقدموا لنا صور معشوقاتهم فنحن نطلب منهم المستحيل فالمعشوقة من صنعه ومن خياله وهو يصنعها ويتعذب بها ويعبدها وإذا رآها فى الطريق، فلن يعرفها لقد عايشها فى خياله ولكنه لم يجلس إليها، لا أكل ولا شرب ولا نام وإنما هو نحتها صنما ثم خر ساجدا لها.. وهو فى الحقيقة عاشق لفنه ساجد لنفسه.

يقول كامل الشناوى:

كونى كما تبغين

لكن لن تكونى..!!

فأنا صنعتك من هواى، ومن جنونى..!!

ولقد برئت من الهوى ومن الجنون..!!

أما أنه صنعها.. فهذا صحيح.. وأما أنه قد شفى بعد ذلك فليس

صحيحا..لأن الشاعر لا يريد أن يبرأ من الشعر أى يكون بريئا من تهمة الشعر، وأن يشفى عذابه أيضا!

ويقول كامل الشناوى أيضا:

فـــرأيت أنك كنت لى قـــيـــدا
حـــرصت العـــمـــر ألا أكـــســـره
فـــكـــســـرتـــه!

إن كان الحب ذنبا، فإنه لا يطلب من الله أن يغفر له هذا الذنب ولكن المحبوبة غفرت ذنبه.. وهذا ذنب وجريمة، لن يغفرها!.

وأنا لا أصدق كامل الشناوى حينما يقول ويعيد ويزيد هذا المعنى:

دمـــرتـــنـــى لأنـــنـــى
كنت يـومـــا أحـــبـــهـــا
وإلـــى الآن لـــم يـــزل
نابضـــا فـــيك حـــبـــهـــا!؟
لـــســـت قـــلـــبـــى أنـــا إذن!!
إنمـا أنـت قـلـبـــهـــا!!

لأنه ما يزال وسوف يبقى يحبها، ويحب العذاب من أجلها ولا أصدقه أيضا حين يقول:

لـــســـت أشـــكـــو مـــنـــك
فـــالشكوى عـــذاب الأبـرياء!!
وهى قـيـد ترسف العـزة فـيـه والإباء!!

أنا لا أشكو

ففي الشكوى انحناء !!

وأنا نبض عروقي كبرياء !!

جرأتي راحت ولا أعرف أين ؟

بسمتي ضاعت ودمعي بين بين !

الهوى خجلان دامي الوجنتين !

وحنيني لك مكتوف اليدين !

أنا لا أشكو

ففي الشكوى انحناء

وأنا نبض عروقي كبرياء

ولكن أصدقه وهو يقول:

لا وعينيك ما سلوتك عمري

فاستريحي وحاذري أن تريحي

وهو يقول أيضا:

آه مني أنا لم أدرك مداها !

آه مني

هي لم تدرك مدايا !!

حطمتني مثلما حطمتها

فهي مني... وأنا منها.. شظايا !!

obeikan.com

أما أنه كان شظايا فصحيح، أما أنها أو أنهن، كانت شظايا، فليس صحيحا!

ولكنه هو الذى توهم ذلك!

ويعود إلى هذا المعنى مرة أخرى فيقول:

قـــد خلت منك حـــيـــاتى
وخلت منى حـــيـــاتك
مـــــا نـراه منك..
أو مـــنـــى
رفـــاتى... ورفـــاتك!! *

* * *

و لا حتى هذا المعنى.. فهو شظايا ورفات كامل الشناوى، ولا شك فى ذلك بينما كل واحدة من التى أحبهن كامل الشناوى عاشت فى صحة وعافية، وكانت تروى من نوادر كامل الشناوى على أنها جزء من الزحام فى موكبها.

فأضاعت الرجل، الذى كان وحده موكبا... وكان هو المشاة والمحتفى به، فهو الذى صنع الموكب، شكله وموضوعه ثم صدقه وإن لم يكن له أى هدف، يكفى أن يحتشد ويتزاحم ويدور حول كامل الشناوى شاعرا معذبا باليقظة والنوم، معذبا للناس ومعذبا بهم..

وكان كامل الشناوى حاد اللسان جارح النكتة، وهو ضحية الناس فهم يريدونه أن يضحك ويثير ويهز ويوجع ولذلك أوجعنا بقدر ما أضحكنا...

وأذكر أننى كتبت عنه مقالا قلت فيه: إن كامل الشناوى يدغدغ

obeikan.com

أصدقاءه بسكين.

ووجدت الأستاذ محمد حسنين هيكل يقرأ المقال للرئيس جمال عبد الناصر، ويضحك..

ولما عرف كامل الشناوى كانت أول قطيعة بينه وبينى..

وقد أحزننى ذلك مع أننى لم أفعل أكثر من أننى استعرت أسلوبه فى مداعبة الناس ولكنه لم يطق أن يفعل به أحد ذلك.. وفى إحدى الليالى شرب كامل الشناوى كثيرا وراح يبكى على الوفاء والاخلاص وكنت المقصود بذلك مع أننى لم أنزع من قلبى مثقال ذرة من حبه والامتنان له، ولكن أكثر الساخرين الجارحين، لا يحتملون أن يفعل بهم أحد ذلك... فمثل هذه الأسلحة يجب أن تكون حكرا عليهم!

وقد تعبت كثيرا من الاعتذار له مع أن الذى قلته ليس شيئا خارجا ولا تجاوزت حدود الأدب ولا حتى الحقيقة ولكن أن يضحك جمال عبدالناصر لذلك، وأن يكون هو نكته رئيس الوزراء - هذا كثير وأن أكون أنا السبب هذا كثير جدا..

مع أن نصيبى من مداعبات كامل الشناوى كان كثيرا جدا، فهو قال عنى:

أننى إذا ذهبت لدورة المياه دقيقة فلكى أقرأ ثلاثة كتب وكان يسألنى عن سيارتى فأقول له: أنها عند الميكانيكى!

فيعود يسألنى: كم تكلفك من التاكسيات!.

وكان يقول إننى أبحث عن سيارتى كل صباح، فأجدها تلعق البنزين من السيارات الأخرى!

وكان لكامل الشناوى شعر سياسى مثل مقالاته السياسية، يجب ألا ننظر إليها بجدية، وإنما هى رائعة فى النظم وفخامة فى الصياغة ولكن

كامل الشناوى كان سياسيا مضطرا، وكان كثيرون كذلك.

وكما أننا لا نسأل الشاعر عن معشوقته ولا أن يعرض علينا صورتها، فكذلك قصائده السياسية مثل مطلع «نشيد الحرية»، يقول:

كنت فى صمتك مرغم — كنت فى حبك مكره
فتكلم، وتألم — وتعلم كيف تكره

فقد كنت أروى لكامل الشناوى حكاية كنت مرغما على سماعها وروايتها وأن أكون طرفا فيها ولم تكن مما يسعد كامل الشناوى فقد كان يعمل فى جريدة الأهرام فى سنة ١٩٥٠، ولم يكن على وفاق مع بعض الزملاء الكبار، وكانوا يحاولون إبعادنا عنه، والتفافنا حوله، وفى إحدى المرات كان لابد أن أذهب وآخرون معهم إلى غداء خارج القاهرة وفوجئ كامل الشناوى بأننا سوف نتركه وحده.

ودار حوار طويل ولم يكن كامل الشناوى يقبل المرونة، ولا أن يمسك أحد العصا من وسطها فأنا إما معه وإما عليه إما هم وإما هو فقلت مداعبا: أتكلم.. أتألم... أتالم! أتكلم... أتكلم... أتكلم وأتألم من جديد...

وبسرعة البرق غاب كامل الشناوى عن الوعى ليمسك ورقة وقلما ويكتب مطلع نشيد حرية مصر كلها، لا حرية واحد من موقف حرج!

وكذلك كل قصائد الشعراء فى الغزل والصداقة والكفر بالحياة والحياة والسياسة إنها تجئ مثل أكبر الحرائق من عود كبريت صغير! وكان الشاعر الألمانى ريلكه يقول: إن المعانى تسقط عليه كما تسقط الأمطار من السحب هذه السحب تكونت قطرة من بلاد بعيدة ومرت على الجبال وعلى الوديان وعلى المدن وتزاحمت فيها القطرات ثم سقطت على شاعر ما فى مكان ما كيف حدث ذلك؟ إن هذا ما يحدث!

وكامل الشناوى مثل كل الشعراء الرومانسيين، ولا يريد إلا أن يقول بل ليس بحاجة الى أن يجد سببا، أنه كالبلبل يغنى يالغريزة ويبكى بالغريز..

فهل لو ظهرت حبوب «منع الحمل» فى القرن السابع عشر فى أوروبا وفى الجاهلية عند العرب لكان قد اختفى الرومانسيون وشعراء الغزل والأدب العذرى!

لا أظن ذلك فليس جنسيا ما يريده الشعراء فما أيسر الجنس ولكنه الجمال ـ الجمال يرونه ويلمسونه بعيونهم ثم الجمال الذى يصنعونه لأنفسهم أى الإبداع والخلق فالشاعر ليس صحيحا أنه عابد لغيره، وإنما هو عابد لنفسه فالشاعر لا يرى جميلة أروع من جميلاته ولا يرى مخلوقا أعظم من مخلوقاته فإن لم يكن ذلك عبادة لذاته فهى شئ من ذلك..

بل أن الشاعر يحتضن حبيبته ويذوب ويذيب ولكنه يتغنى بالتى بين يديه كأنها ليست هناك أو يستشعر غيابها، ليشتاق إليها ويبكى على بعدها مع أنها لحم ودم وأنفاس وعطور بين ذراعيه.

ولو استبعد شاعر واحد كلمة «أنا» من قصائده لم يكن شاعرا فالشعر «ترجمة ذاتية» كتبها عاشق لنفسه، يريدنا أن نصدقه ولكننا لا نصدقه، ولكن عندما نصدقه أو لا نفعل ذلك فإننا نصفق له فما أجمله كاذبا وما أروعه صادقا، وليس من الأدب ولا من الفن ولا من الشعر أن نقول له: قف من أنت.

وكلنا أصدقاء كامل الشناوى يعرف من التى يحبها بل كان هو يدلنا عليها ولم نكن نطابق بين ما نراه فى الحقيقة وما نراه فى الخيال ولكنه يراها هكذا ويعبر عنها هكذا وهذا هو الفن!.